تراثنا

نشرة فصلية تصدرها

مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث

العدد الثالث (١٢) ـ السنة الثالثة ـ رجب ١٤٠٨هـ

تراثنا

نشرة فصلية تصدرها مؤسسة آل البيت ـ عليهم السلام ـ لإحياء التراث

- الإسهام في النشرة باب مفتوح لجميع العلماء والمحقّقين والمهتمّين بشؤون تراث أهل البيت عليهم السلام.
- الآراء المنشورة لا تعبّر عن رأي النشرة بالضرورة.
- ترتيب المواضيع يخضع لاعتبارات فنّية، وليس لأيّ اعتبار آخر.
- النشرة غير ملزمة بنشر كل ما يصل إليها.

المراسلات :

تعنون باسم: هيئة التحرير

بيروت ـ بئر العبد ـ مقابل البنك اللبناني / الفرنسي

ص. ب ٢٤/٣٤ ـ تلكس ٤٠٥١٢ ـ ت: ٨٢٠٨٤٣

تراثنا

العدد الثالث [١٢] / السنة الثالثة / رجب ـ شعبان ـ رمضان ١٤٠٨ هـ . ق.

الإعداد والنشر: مؤسسة آل البيت ـ عليهم السلام ـ لإحياء التراث.

الكمّية: ١٠٠٠ نسخة.

قيمة الإشتراك السنوي في نشرة تراثنا ١٥ دولاراً داخل لبنان ، و٢٥ دولاراً في البلاد العربية وأوروبا وآسيا وأفريقيا والأمريكيتين واستراليا . بضمنها أجور البريد المضمون .

رسالة في
افتتاح الكلام ببسم الله
تيمناً وتبركاً

المؤلف

هو الشيخ زين الدين بن نورالدين علي بن أحمد بن محمد بن علي بن جمال الدين بن تقي بن صالح بن مشرف العاملي الشامي الطلوسي الجبعي، الشهير بـ «الشهيد الثاني».

وُلد ـقُدّس سرّهـ في ١٣ شوّال سنة ٩١١ هـ ، وكان أبوه من أكابر علماء عصره، وكذلك كان آباؤه إلى «صالح» وبنو عمومته وأخوه عبدالنبي وابن أخيه.

درس العلوم المعروفة في زمنه، وأخذ عن علماء الفريقين وبرع وفاق أقرانه رغم شدّة الفقر، فقد كان يحرس مزرعته ليلاً، ويحتطب لعياله.

سافر إلى إستانبول، وأُسند إليه تدريس المدرسة النورية في بعلبك فبقي فيها خمس سنين يُدرّس المذاهب الخمسة، وهذا يدلّ على سعة علمه واطّلاعه.

ألّف نحو ثمانين كتاباً، أشهرها: «الروضة البهيّة في شرح اللمعة الدمشقيّة» الذي لا يزال من أهمّ الكتب التي تدرّس في الحوزات العلمية.

له عدّة رسائل، منها هذه الرسالة في ابتداء الكلام ببسم الله، موجودة ضمن مجموعة تضم عدّة رسائل له، من مخطوطات مكتبة آية الله المرعشي العامة، في قم، برقم ٤٤٤، ذكرت في فهرسها ٢ : ٤٨.

أُلقيَ القبض عليه في مكّة المكرّمة أثناء حجّه نتيجة افتراءات عليه وتهم

أُلصقت به، فقتل في الطريق أثناء تسييره إلى سلطان الروم خوف فضيحة المفترين عليه، فلقي الله وهو مخضّب بدمه، وكانت شهادته سنة ٩٦٥هـ ، وكان عمره آنذاك ٥٥ سنة، رفع الله في جنان الخلد مقامه [١].

* * *

(١) راجع للوقوف على أحواله: أعيان الشيعة ٧:١٤٣، إيضاح المكنون ٤:٤٧٩، بغية المريد الواردة ضمن كتاب الدرّ المنثور ٢:١٨٧، أمل الآمل ١:٨٧، لؤلؤة البحرين: ٣٥، روضات الجنّات ٣:٣٧٩، وغيرها.

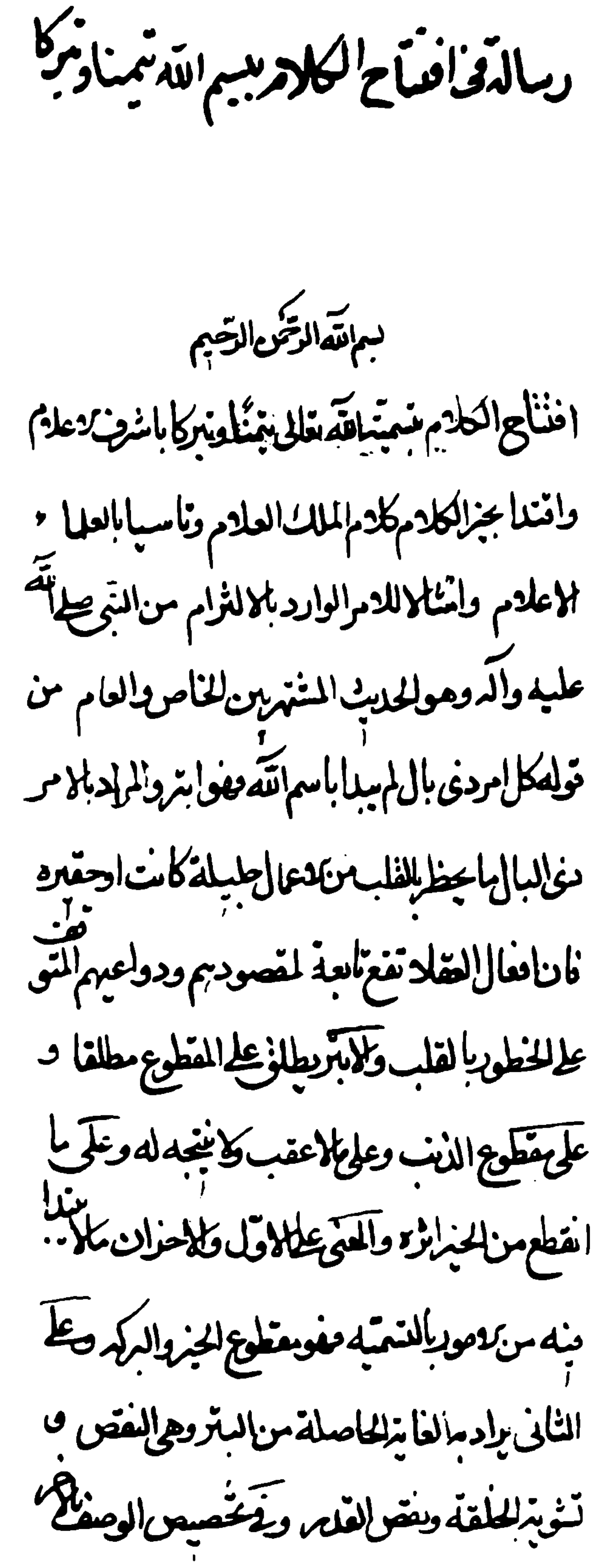

رسالة في افتتاح الكلام ببسم الله تيمناً وتبركاً

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاح الكلام بتسمية الله تعالى تيمناً وتبركاً بأشرف الأعلام
واقتداءً بخير الكلام كلام الملك العلام وتأسياً بالعلماء
الأعلام وامتثالاً للأمر الوارد بالالتزام من النبي صلى الله
عليه وآله وهو الحديث المشتهر بين الخاص والعام من
قوله كل أمر ذي بال لم يبدأ باسم الله فهو أبتر والمراد بالأمر
ذي البال ما يخطر بالقلب من الأعمال جليلة كانت أو حقيرة
فإن أفعال العقلاء تقع تابعة لمقصودهم ودواعيهم المتوقفة
على الخطور بالقلب والأبتر يطلق على المقطوع مطلقاً و
على مقطوع الذنب وعلى الأعقب ولا نتيجة له وعلى ما
انقطع من الخير أثره والمعنى على الأول والأخير أن ما لا يبتدأ
فيه من الأمور بالتسمية فهو مقطوع الخير والبركة وعلى
الثاني يراد به الغاية الحاصلة من البتر وهي النقص في
تسوية الخلقة ونقص العمر وفي تخصيص الوصف

صورة الورقة الأولى من المخطوطة.

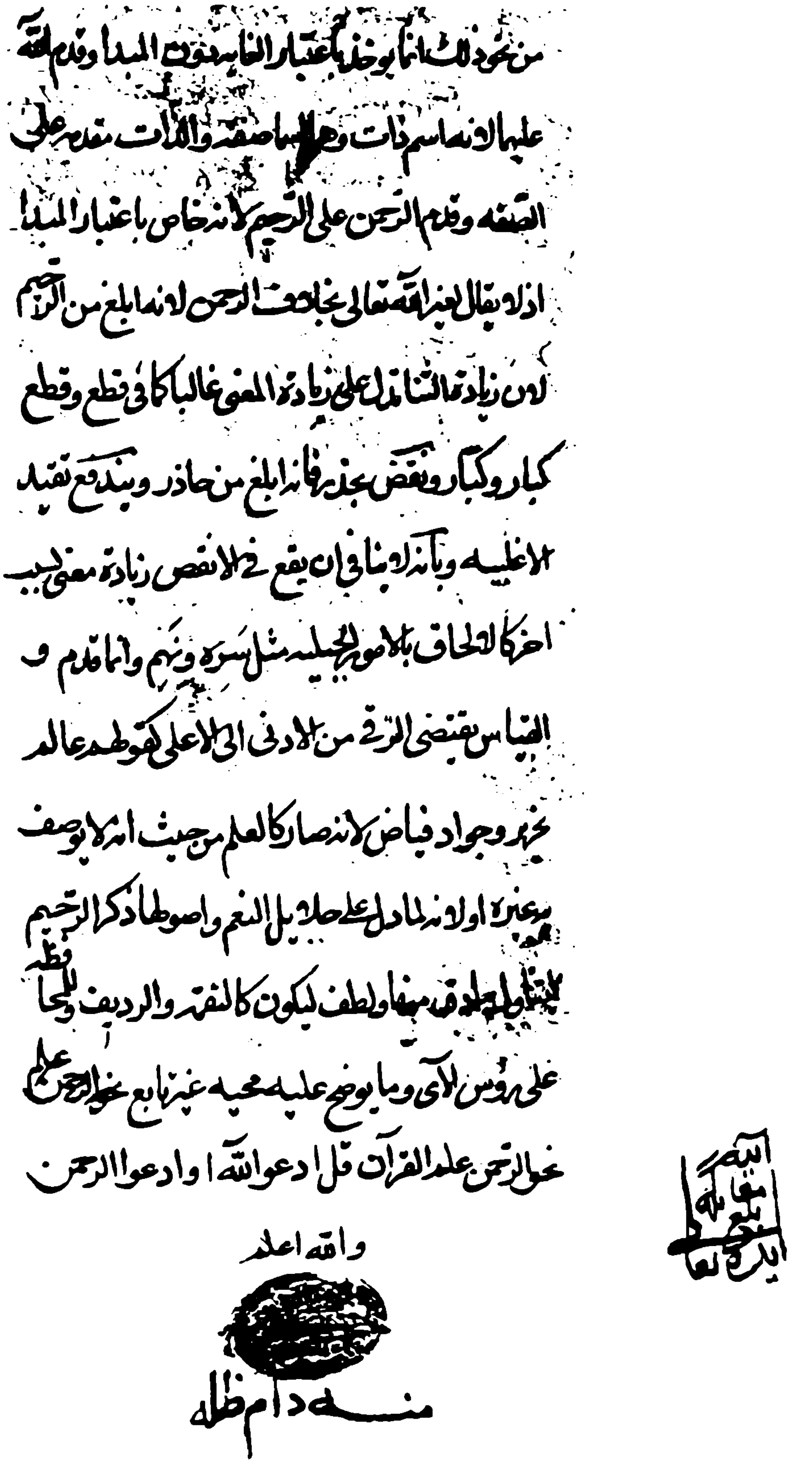
من نحو ذلك انما يؤخذ باعتبار الغاية دون المبدا وقدم الله
عليهما لانه اسم ذات وهما اسما صفة والذات مقدم على
الصفة وقدم الرحمن على الرحيم لانه خاص باعتبار المبدا
اذ لا يقال لغير الله تعالى بخلاف الرحيم ولانه ابلغ من الرحيم
لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى غالبا كما في قطع وقطّع
كبار وكبّار ونقص بحذر فانه ابلغ من حاذر وبذلك يندفع نقض
الاغلبية وبانه لا ينافي ان يقع في الانقص زيادة معنى بسبب
اخر كالالحاق بالامور الجبلية مثل شره ونهم واما قدم و
القياس يقتضي الترقي من الادنى الى الاعلى كقولهم عالم
نحرير وجواد فياض لانه صار كالعلم من حيث انه لا يوصف
به غيره او لانه لما دل على جلائل النعم واصولها ذكر الرحيم
ليتناول ما دق منها ولطف ليكون كالتتمة والرديف وللمحافظة
على رؤوس الآي وما يوضح عليه صحبه غير تابع نحو الرحمن علم
نحو الرحمن علم القرآن قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن
والله اعلم
منه دام ظله

صورة الورقة الأخيرة من المخطوطة.

رسالة في افتتاح الكلام ببسم الله
تيمّناً وتبرّكاً

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاح الكلام بتسمية الله تعالى تيمّناً وتبرّكاً بأشرف الأعلام، واقتداءً بخير الكلام، كلام الملك العلاّم، وتأسّياً بالعلماء الأعلام، وامتثالاً للأمر الوارد بالإلتزام، من النبيّ صلّى الله عليه وآله، وهو الحديث المشتهر بين الخاصّ والعامّ، من قوله:

«كل أمرٍ ذي بال لم يُبدأ باْسم الله، فهو أبتر» (١).

والمراد بالأمر ذي البال: ما يخطر بالقلب من الأعمال، جليلةً كانت أو حقيرة، فإن أفعال العقلاء تقع تابعةً لمقصودهم ودواعيهم المتوقّف،على الخطور بالقلب.

والأبتر: يطلق على المقطوع مطلقاً، وعلى مقطوع الذنب، وعلى ما لاعقب ولا نتيجة له، وعلى ما انقطع من الخير أثره.

والمعنى على الأول الآخر، أنّ ما لا يُبتدأ فيه ـ من الأمور ـ بالتسمية فهو مقطوع الخير والبركة.

وعلى الثاني: يراد به الغاية الحاصلة من البتر، وهي النقص وتشويه الخِلقة ونقص القدر.

وفي تخصيص الوصف بالآخر ـ مع أنّ الفائت مع التسمية الأول ـ إشارة إلى بقاء الإعتبار [في] (٢) ما لا تسمية له ـ في الجملة ـ وإن كان ناقصاً، بخلاف ناقص

---

(١) وسائل الشيعة ٤: ٤/١١٩٤ ـ نقلاً عن تفسير الإمام العسكري عليه السلام ـ وفيه: .. لا يذكر بسم الله فيه فهو أبتر، وتفسير البرهان ١: ٤٦ وفيه: .. لم يذكر فيه اسم الله، وتفسير أبي الفتوح الرازي ١: ٢٩ وفيه: .. لم يبدأ ببسم الله..، و الجامع الصغير ٢: ٦٢٨٤/٢٧٧ وفيه: .. لا يبدأ فيه ببسم الله أقطع، ومسند أحمد ٢: ٣٥٩ وفيه: كل كلام أو أمر ذي بال لا يُفتح بذكر الله عزّوجلّ فهو أبتر ـ أو قال: ـ أقطع.

(٢) زيادة يقتضيها النسق.

الرأس مثلاً،فإنّه لا بقاء له.

والكلام في الثالث نحو الكلام في الأول والأخير، فإنّما لا نتيجة له ولا عقب ناقص البركة، مضمحل الفائدة، منقطع الخير.

والتعبير بالإبتداء ـ الصادق على القول والكتابة ـ يدخل فيه ابتداء العلماء بها كتابةً، وابتداء الصناع بها قراءةً، فسقط ما قيل: إنّه إن أراد بالإبتداء القراءة، لم يكن فيه دلالة على الإجتزاء بالكتابة، فلا يتمّ تعليلهم ابتداء التصنيف بها لأنّ الكتابة لا تستلزم القراءة.

وإنْ أُريدَ الكتابة لم يُحَصِّلْ أمثال النجّار الخير حتى يبتدئ أوّلاً، فيكتب (بسم الله الرحمن الرحيم)، لاندفاع ذلك بالتعبير بالإبتداء على وجه كلّيّ.

نعم، ربّما استفيد من القرائن الحالية اختصاص كلّ أمر بما يناسبه من أفراد الإبتداء، فلا تكفي الكتابة لمريد النجارة ـ مثلاً ـ.

والمعارضة بينه وبين ماورد من أنّ «ما لا يُبتدأ فيه بحمدالله، فهو أجذم» ـ أي مقطوع اليد، أو مطلقاً ـ مندفعة، بأنّ المراد من الحمد هو الثناء على ذي الكمال بنعتٍ من نعوت الجلال، واسم الله المتعال ملزوم ومشتهر في صفات الإكرام، ونعوت الجلال، فالإبتداء بالتسمية توجب الإبتداء بهما جميعاً.

والباء في (بسم الله):

إمّا صلة، مفيدة لمجرّد تقوية المعنى وتوكيده، فلا يحتاج إلى التعلّق بشيء.

أو للإستعانة.

أو للمصاحبة.

متعلّقه محذوف، مصدر مبتدأ، خبره محذوف، تقديره: إبتدائي حاصل أو ثابت باسم الله.

أو فعل كابْتَدِىء ونحوه.

أو حال من فاعل الفعل المحذوف أي: أبتدىء متبرّكاً أو مستعيناً باسم الله

ولا يرد على الأول: لزوم حذف المصدر وإبقاء معموله، لأنّ الظرف والجار والمجرور يتوسّع فيهما ما لا يتوسّع في غيرهما [٣].

ويجوز تقديره مقدّماً كما هو الأصل في العامل [و] متأخّراً، ليختصّ اسم الله بالتقدّم لكونه أهمّ وأدلّ على الإختصاص، وأوفق للوجود، ويؤيّده «بسم الله مجراها ومرساها» [٤].

وفي الآية أيضاً دلالة على رجحان تقديره اسماً.

وإنّما كُسرت الباء ـ مع أنّ حقّ الحروف المفردة أن تفتح ـ لاختصاصها بلزوم الحرفية والجرّ كما كسرت لام الأمر ولام الجرّ إذا دخلت على المضمر، للفرق بينها وبين لام التأكيد، لمناسبة كسرها لعملها.

وإنّما حُذفت الألف من (بسم الله) خطّاً كما حُذفت لفظاً لكثرة استعمالها، فناسبها التخفيف[٥]، بخلاف «باسم ربك» [٦]. وأُلحق بها «بسم الله مجراها» [٧] و«إنّه من سليمان، وإنّه بسم الله الرحمن الرحيم» [٨] ـ وإنْ لم تُكتبا في القرآن إلّا مرّة واحدة، لشبهها لها صورة.

وتثبت في (الله، الرحمن، الرحيم) مع مشاركتها فيها لها لكونها في الجميع همزة وصلٍ، على غير قياس.

وممّا اشتهر قولهم: خطّانِ لا يقاسانِ: خطّ المصحف وخطّ العروضيّين [٩].

وإنّما طالت الباء ليدلّ على حذف الألف.

والإسم لغة: ما دلّ على مسمّى، وعرفاً: ما دلّ مفرداً على معنى في نفسه، غير متعرّض بُنيته لزمان.

---

(٣) المغني، لابن هشام ـ طبعة سعيد الأفغاني ـ ص ٩٠٩ ـ القاعدة التاسعة من الباب الثامن.

(٤) الآية (٤١) من سورة هود رقم (١١).

(٥) هذا هو الظاهر، وكان في المخطوطة: «التحقيق» بدل: التخفيف.

(٦) من الآية (١) من سورة العلق رقم (٩٦).

(٧) الآية (٤١) من سورة هود رقم (١١).

(٨) الآية (٣٠) من سورة النمل رقم (٢٧).

(٩) لاحظ: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ج ٤، ص ١٦٨-١٦٩، النوع ٧٦.

والتسمية: جعلُ اللفظ دالّاً على ذلك المعنى.

والإسم غير المسمّى عند الإطلاق.

وإنّما علق الجار بالإسم -مع أنّ المعنى إنّما يراد تعلّقه بالمسمّى- للإشعار بعدم اختصاص التعلّق بلفظ (الله) لا غير أنّه أحد الأسماء [كذا]، وللتحرّز من إيهام القَسَم ولقيام لفظ (الله) مقام الذات في الإستعمال ومن ثُمّ يقال: (الرحمن [و] الرحيم، وغيرهما: اسم من أسماء الله) ولا ينعكس. -ولجريان باقي الأسماء صفة له، من غير عكس.

والإسم مشتقّ من السُمُوّ، وهو العُلُوّ والإرتفاع، لأنّه سما على مسمّاه وعلا على (١٠) ما تحته من معناه.

وقيل: من السِمَة، مصدر وَسَمْتُ الشيء، أي: جعلت له علامة، لأنّ الإسم علامة على المسمّى.

ويدلّ على الأول: جمعه على أسماء، وتصغيره على سُمَيّ، وهما يردّان الأشياء إلى أُصولها، ولا يتمّ ذلك إلّا إذا كان أصله سُمُوّاً. لصيرورته (١١) مع التصغير: سُمَيْواً، ثمّ قُلبت الواو ياءاً لاجتماعهما وسبق الياء بالسكون فقلب الثاني (١٢) إليها وأُدغمت الأُولى فيها.

ولو كان الإشتقاق من السِمة لوجب أن يجمع على أوسام، كأوصاف وأوزان ويصغّر على وُسَيْم، كوعيد لأنّ السِمة أصلها (وسم) حذفت الواو وعوّضت بالهاء كنظائرها من الصفة والزنة.

و(الله) أصله الإلٰه، حُذفت الهمزة وعُوّض عنها حرف التعريف، ثم جعل عَلَماً للذات الواجب الوجود، الخالق لكلّ شيء، فهو جزئيّ حقيقيّ لا كُلّيّ انحصر في فرد كما زعم بعضهم، أنّه اسم لمفهوم (الواجب لذاته) أو (المستحقّ للعبودية له) وكلّ منهما كُلّيّ لم يوجد له إلّا فردٌ واحد.

---

(١٠) كذا الظاهر، وكان في النسخة: وعلى على.

(١١) كذا الظاهر، وكان في النسخة: لضرورته.

(١٢) كذا في الظاهر، والمراد قلب الحرف الثاني وهو الواو إلى الياء ثم الإدغام، وكان في النسخة: فنقلت الثاني إليها.

وممّا يكشف عن فساده: أنّ قولنا: «لا إلٰه إلّا الله» كلمة توحيد بالإتّفاق من غير أن يتوقّف على اعتبار عهدٍ، فلو كان (الله) اسماً لمفهوم (المعبود بالحقّ)، أو (الواجب لذاته) لا عَلماً للفرد الموجود منه، لما أفاد التوحيد، لأنّ المفهوم من حيث هو محتمِل للكثرة.

والرحمن الرحيم: اسمان بُنِيا للمبالغة من (رحم) بتنزيله منزلة اللازم، أو بجعله لازماً ونقله إلى (فعُل) بالضمّ.

والرحمة: رقّة للقلب تقتضي التفضّل، فالتفضّل غايتها، وأسماء الله تعالى المأخوذة من نحو ذلك، إنّما يؤخذ باعتبار الغاية دون المبدأ.

وقدّم (الله) عليهما لأنّه اسم ذات وهما أسماء صفات، والذات مقدّمة على الصفة.

وقدّم (الرحمن) على (الرحيم) لأنّه خاصّ باعتبار المبدأ، إذ لا يقال لغير الله تعالى، بخلاف الرحيم،-[و] لأنّه أبلغ من (الرحيم) لأنّ زيادة البناء[١٣] -تدلّ على زيادة المعنى -غالباً- كما في قطع وقطّع، وكبار وكبّار.

ونقض: بحذر، فإنّه أبلغ من حاذر!

ويندفع: بقيد الأغلبية.

وبأنّه لا ينافي أن يقع في الأنقص زيادة معنى بسبب آخر، كالإلحاق بالأُمور الجِبِلّية مثل (شره ونهم).

وإنّما قُدّم والقياس يقتضي الرقيّ من الأدنى إلى الأعلى كقولهم: عالم نحرير، وجواد فيّاض -لأنّه صار كالعلم من حيث أنّه لا يوصف به غيره - أو لأنّه لمّا دلّ على جلائل النعم وأُصولها، ذكر الرحيم ليتناول ما دقّ منها ولطف، ليكون كالتتمّة[١٤] والرديف.

---

(١٣) كذا الظاهر، وكان في النسخة: زيادة الثناء.

(١٤) كذا الظاهر، وفي النسخة: «كالنقمة».

وللمحافظة على رؤوس الآي، وما يوضحّ [كذا] عليه مجيئه [١٥] غير تابع نحو (الرحمن علّم القرآن) [١٦] (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) [١٧]، والله أعلم.

* * *

---

(١٥) كذا وفي النسخة: «محيه».

(١٦) الآية (١) من سورة الرحمن رقم (٥٥).

(١٧) الآية (١١٠) من سورة الإسراء رقم (١٧).